Content Analysis of Egyptian Proverbs in Light of Schwartz's Basic Values Model

Hesham H. Alasale

Abstract:

Objective: This research is one of the topics of cultural psychology. It aims to identify the basic values included in the Egyptian proverbs.

Methods: The procedures of the research included content analysis of 1745 proverbs from the "Egyptian Proverbs" book, published in 1949. The proverbs content was analyzed in light of Schwartz's basic values model.

Results: The results of the study revealed a representation of proverbs for basic values. However, their representation and prioritization ratios differed from what is common in contemporary cross-cultural research.

Conclusion: Proverbs are useful for revealing cultural particularities.

Keywords: Cultural Psychology, Basic Values Model, Proverbs.

تحليل محتوى الأمثال الشعبية المصرية في ضوء نموذج القيم الرئيسة لشوارتز

د. هشام حنفي العسلي(*)

ملخص:

هدف الدراسة: يُصنف موضوع الدراسة الحالية ضمن موضوعات علم النفس الثقافي. ويهدف إلى تحديد القيم الرئيسة المتضمنة في الأمثال الشعبية المصرية.

المنهجية: تضمنت إجراءات الدراسة تحليل محتوى 1745 مثلاً من الأمثال الشعبية المتضمنة في كتاب "الأمثال العامية"، المنشور سنة 1949، وتم تحليل المحتوى في 1وء نموذج القيم الرئيسة لشوارتز.

النتائج: كشفت نتائج الدراسة عن تمثيل الأمثال الشعبية للقيم الرئيسة. وقد اختلفت نسب تمثيلها، وترتيب أولوياتها عما هو شائع في البحوث عبر الثقافية المعاصرة.

الخلاصة: تكشف الأمثال الشعبية عن تباينات ثقافية يتعذر الوصول إليها باستخدام أدوات البحث التقليدية.

المصطلحات الأساسية: علم النفس الثقافي، نموذج القيم الرئيسة، الأمثال الشعبية.

(*) أستاذ علم النفس المشارك، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
Email: halasali072@gmail.com

مقدمة:

يدخل موضوع هذه الدراسة ضمن موضوعات علم النفس الثقافي، ويتركز الاهتمام فيه على تحليل محتوى الأمثال الشعبية المصرية، ويقوم على فرض رئيس، مفاده: أن الثقافة تتبدى في القواسم المشتركة بين أعضاء جماعة بشرية تعيش في حقبة زمنية محددة، وتظهر فيما تتبناه الجماعة من قيم ومعايير ومعتقدات وأعراف، وتنعكس في شتى ممارسات الحياة الاجتماعية، وتتجذر على مدار تاريخ الجماعة، وتنتقل من جيل إلى جيل، وتؤدي دوراً وظيفياً جوهرياً مع مرور الزمن. ولا ينفي هذا الاستقرار النسبي للثقافة صفة التغير عنها؛ إذ إنها تنمو وتتغير مع اتصال الأشخاص بعضهم ببعض، وتتأثر أيضاً بما يحدث من تغيرات في البيئة (التكنولوجية، السياسية، والقانونية، إلخ). وتجمع الثقافة بذلك بين كونها ناتجة من سلوك تاريخي وكونها مُحددة للسلوك المستقبلي؛ فالبشر هم من ينتجون الثقافة وهم من يتأثرون بها (Segall, Dasen, Berry, & Poortinga, 1999).

وتجدر الإشارة إلى أن اكتساب الثقافة وتنميطها لسلوك البشر، وقبل ذلك برمجتها لعقولهم، يحدث عبر أدوات فهم ثقافية مشتركة بين أعضاء الجماعة. وتتكون هذه الأدوات من شبكة المعايير، والقيم، والمسلمات، والاتجاهات، والمعتقدات، والبناءات المعرفية. وتتضمن البناءات المعرفية مكونات مثل المخططات المعرفية، والمفاهيم، والتشبيهات والأمثال (Kulich, 1998; Nisbett& Norenzayan, 2002)، وتُعد الأمثال من أهم أدوات فهم الثقافة ونقلها؛ نظراً لما تنطوي عليه طبيعتها من خصائص؛ فالمثل "قول قصير، ومعروف، وشائع الاستخدام، يعبر عن حقيقة عامة، أو يقدم نصيحة محددة (Oxford, 2019)"، وتكتسب الأمثال جاذبيتها من كونها توفر صورة ذهنية يمكن فهمها بسهولة، ولتشبعها بالمعاني والدلالات؛ مما يجعلها أداة مناسبة لبناء فهم أكثر شمولية عن الثقافة التي أنتجتها (Lovell, 2001)، وذلك بوصفها نوعاً من الرموز المعبرة عن تلك الثقافة (Rong, 2013)،

وينظر إلى الأمثال عادة على أنها وسيلة يمكن من خلالها ترميز الخبرة الجمعية ونقلها من جيل إلى جيل، ولهذا تُعرف أحياناً بأنها حكمة الجماعة وفطنة الفرد (Page, 1987)، وتتمثل أهميتها في أنها تتعامل مع الحقائق الراسخة ببساطة وبشكل عياني، ويتعلم المتلقي منها درساً واضحاً، وتسهم في فهم الثقافة السائدة، وتحديد ما ينبغي فعله وما يُكره القيام به (Rong, 2013)؛ فالأمثال لم تأت من فراغ؛ إذ إنها تشكل أنموذج عيش وتعكس تجربة معينة، تشبه في مضمونها الجوانب

المجردة للخبرة التي تعرض لها ضارب المثل، أو خلاصة تجارب متشابهة ومتكررة. وربما تعكس معتقدات وممارسات موغلة في القدم، وقد تعبر عن عادات وتقاليد متوارثة. وهي بهذا أشبه بسجل تاريخي اجتماعي يوثق الجذور البعيدة لكثير من الظواهر النفسية الاجتماعية المعاصرة. ومادامت هذه الأمثال قابلة للرصد والقياس، ولكونها تعكس القيم والمعتقدات وطرق التفكير التي يتبناها أعضاء جماعة ما، وتنتقل من جيل إلى جيل (Dancy& Wynn-Dancy, 1995; McAdoo& McWright, 2008)، فإنها تُستخدم في البحث الحالي لتحديد القيم الرئيسة في الثقافة المصرية.

وتعد القيم المشتركة بين أعضاء الجماعة من أشد أدوات الثقافة تأثيراً في سلوك الأشخاص وتوجيهاً لأفكارهم وتفضيلاتهم (Hofstede, 1980). فالقيم "اعتقاد ثابت بأن شكلاً محدداً من السلوك أو غاية وجودية معينة ذات أهمية بالنسبة للشخص، أو مفضلة من المجتمع مقارنة بغيرها من أشكال السلوك والغايات الأخرى". وينظر شوارتز (Schwartz, 2012) إلى القيم بوصفها مفاهيم أو معتقدات ترتبط بأهداف وغايات مرغوب فيها، وأكثر تجريداً وعمومية من الاتجاهات والمعايير، ويُسترشد بها في انتقاء وتقويم التصرفات والأشخاص والأحداث، ويُستند إليها في تحديد الصواب والخطأ وفي تبرير ما ينبغي القيام به وما يتوجب تجنبه. وتُرتب هذه القيم وفقاً لأولويتها في شكل نسق هرمي، يضفي على الشخص طابعاً فريداً، ويميز القيم عن المعايير والاتجاهات. وتتجاوز تأثيرات القيم مستوى الفرد، لتشمل مؤسسات أو جماعات أو مجتمعات بأكملها..

وتُكتسب القيم من مصادر متنوعة، ويتم ذلك عادة دون وعي من الشخص، (Hofstede, 1980; Schwartz, 2006)، وتتمثل أهمية القيم في الدور الوظيفي الذي تؤديه؛ إذ يُناط بها إشباع حاجات الشخص والحفاظ على تقديره لذاته في آن واحد (Rokeach, 1973)، وتكفل القيم المشتركة فهم أعضاء المجتمع بعضهم بعضاً دون عناء ودون تصارع على ما يسعون لتحقيقه من أهداف، ويستقي الأشخاص منها إستراتيجيات التكيف مع المجتمع الذي يعيشون فيه، وهي تشكل بذلك لب ثقافة الجماعة (Inglehart, 1990)،

ويستوجب استكمال ما سبق الإشارة إلى صعوبة الفصل بين ثقافة الجماعة ولغتها، وتأكيد كون القيم تنطوي على بناءات معرفية تسهم في تحديد الطريقة التي

يفكر بها الأشخاص ويتحدثون بها. ونظراً لشيوع الأمثال والعبارات السائرة والتشبيهات في مختلف الثقافات، فإنها توفر بذلك أداة مناسبة للنفاذ إلى عمق الثقافة التي أنتجتها، واستخلاص ما تنطوي عليه من قيم صريحة وضمنية (Weng, 2008)، وتأسيساً على ما سبق، ينظر في هذه الدراسة إلى الأمثال الشعبية المصرية على أنها أداة بحث تستخدم في جمع بيانات عن القيم السائدة، وقد تستخدم في جمع بيانات عن ظواهر نفسية واجتماعية أخرى.

مشكلة الدراسة:

تحليل محتوى الأمثال الشعبية المصرية لاستخلاص ما تنطوي عليه من قيم رئيسة يرتكز على عدد من أوجه القصور التي شابت التراث البحثي النفسي على وجه العموم، ودراسات علم النفس عبر الثقافي تحديداً. ويكمن أولها في تلك المفارقة بين واقع علم النفس وتوقعات رواده الأوائل، الذين وضعوا آمالاً عريضة على تعزيز الدراسات عبر الثقافية للتواصل بين باحثين من ثقافات متنوعة، وافترضوا أن هذا التواصل يجعل من تنقيح المبادئ التفسيرية للسلوك أمراً ممكناً. وللأسف، لم تتحقق البشارة، وظلت النظريات والممارسات النفسية متمركزة حول الثقافة الأمريكية، ومقيدة برؤيتها لنفسها وللثقافات الأخرى (Helfrich, 1999)، وقد برهن أرنت (Arnett, 2008) على صحة تلك المآخذ حين أشار إلى أن 68% من الدراسات المنشورة في ست من المجلات الصادرة عن رابطة علم النفس الأمريكية، أجريت على طلبة أمريكيين، في الوقت الذي تقل فيه نسبة الأمريكيين عن 5% من سكان العالم، ولهذا فإن الزعم بتمثيل علم النفس لعموم البشر لا يسلم من التشكيك. وأضاف بوش (Boesch, 1996) إلى ما سبق، صعوبة تحقيق تكافؤ القياس عبر مختلف الثقافات، وافتقاد الأدلة التي تدعم تكافؤ معاني المفاهيم من ثقافة إلى أخرى، أو التي تنفي تجرد الباحثين من تحيزاتهم في سياق تفاعلهم مع نوعيات محددة من المشاركين. وأشار تريندس (Triandis, 2000) إلى أن أوجه القصور تلك قد تتحقق في السياقات التي تتسع فيها الفجوة الثقافية وترتفع فيها الأمية.

ويوحي ذلك بأن تجاهل التنوع الثقافي والتمركز حول ثقافة بعينها يؤدي وظيفة أشبه بوظيفة النبوءات المحققة ذاتياً؛ فالمفاهيم النفسية، ونماذج تفسيرها، وطرق قياسها تُنتج استناداً إلى بناءات ثقافية محددة، ويُعاد اختبارها وإثباتها في ثقافات أخرى، ويُستبعد في أثناء ذلك ما يتعارض معها من بيانات. ويفضي ذلك في

أفضل الأحوال إلى فهم جزئي لكثير من تلك المفاهيم، ويقتضي ذلك البحث عن أدوات متجذرة في هذه الثقافة وأصدق تعبيراً عن قيمها، ويُرجح أن يفضي تحليل محتوى الأمثال الشعبية إلى استبصارات مهمة في هذا الشأن.

يتصل مصدر آخر من مصادر مشكلة هذه الدراسة بما طُرح من نماذج نظرية لتفسير القيم في سياقات عبر ثقافية؛ حيث يؤكد كثير منها فكرة التصنيف الثنائي للثقافات، فتارة يأتي في شكل التمييز بين الثقافات في ضوء قيم التمركز حول الذات في مقابل التمركز حول الجماعة (Shweder & Bourne, 1984)، أو الضبط الأولي في مقابل الضبط الثانوي (Azuma, 1984)، أو الاستقلالية في مقابل الاعتمادية المتبادلة (Markus & Kitayama, 1994)، أو الفردية في مقابل الجمعية (Triandis, 1995). ويُلاحظ أن كل نموذج من هذه النماذج حصل على ما يؤيد صحته من بيانات إمبيريقية، وخضع بعضها لتنقيحات متتالية نتيجة لظهور أدلة وشواهد لم يُلتفت إليها سابقاً، ولتراكم البيانات الخاصة بثقافات نوعية. وعلى سبيل المثال، تضمن النموذج الأولي لهوفستد (Hofstede, 1980) أربعة أبعاد. وعندما قام هاريس Harris بإعادة تحليل البيانات مرة أخرى أضاف بعداً خامساً، وحينما استخدم مينكوف Minkov (2009) بيانات مسح القيم العالمي أضاف بعداً سادساً؛ ليخرج الإصدار الأخير لنموذج هوفستد مشتملاً على ستة أبعاد. وإذا كان تعديل هوفستد لنموذجه النظري يوحي بمرونة شديدة واستيعاب كامل لما يستجد من نتائج، لكنه لا ينفي إمكانية التوصل إلى أبعاد أخرى عند جمع مزيد من البيانات، أو دراسة ثقافات أخرى لم تلق ما تستحق من اهتمام وتمثيل تنوعاتها تمثيلاً جيداً، أو عند استخدام أدوات بحث ذات خصوصية ثقافية مثل الأمثال الشعبية.

يتساوق هذا الطرح مع التأكيد المشدد في علم النفس الثقافي وعلم نفس السكان الأصليين indigenous psychology على أهمية فحص المفاهيم النفسية من منظور الثقافات النوعية، والاهتمام بالظواهر والعمليات ذات الخصوصية الثقافية، والانغماس الكامل في السياق الطبيعي للظاهرة قبل بدء دراستها، والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة لانعكاساتها، وتفسير الظواهر انطلاقاً من التقاليد الذهنية لكل ثقافة من تلك الثقافات (Shweder, 2000; Triandis, 2000; Matsumoto & Juang, 2016)، ويستتبع ذلك استخدام أدوات بحث غير تقليدية لفهم تلك الظواهر، يؤمل منها أن تتجاوز إشكاليات تكافؤ القياس، وتنوع البناءات المعرفية من ثقافة إلى أخرى، وقيود التواصل بين الباحث والمشاركين، والتحيز لفئة دون غيرها. وهذا هو

ما يجعل من استخدام الأمثال الشعبية في دراسة القيم أمراً مبرراً. ومزية هذا التوجه البحثي أنه قد يميط اللثام عن ظواهر متضمنة في ثقافة بعينها، قد تكون غير معروفة تماماً في ثقافات غيرها، وقد لا يتسنى التنبؤ بها باستخدام نماذج الكليات الثقافية. ويستشهد تريندس (Triandis, 2000) في هذا الصدد بنتائج بحث أجراه سنة 1976 على مجموعتين من الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية: ضمت الأولى أشخاصاً لم يسبق حصولهم على أي وظيفة، وضمت الثانية أشخاصاً سبق لهم الحصول على وظائف. وقد كشفت النتائج عن طريقة فريدة في إدراك من لم يحصلوا على وظيفة للبيئة الاجتماعية، أطلق عليها "عدم الثقة في النسق البيئي". ويعكس هذا النمط من الإدراك عدم الثقة في الأشخاص الآخرين حتى وإن كانوا وثيقي الصلة بهم (مثل أمهاتهم). وتبين له أيضاً أنهم لا يجدون أي صلة منطقية بين الأحداث والمترتبات، وكأنهم لا يثقون في أن هناك عواقب يتحتم وقوعها عند القيام بأحداث معينة.

ثمة مثال آخر، بحث فيه مينون وشويدر (Menon & Shweder, 1994) الفروق بين الهنود والأمريكيين في النظر إلى انفعالات الغضب والخزي والسعادة. وقد أجريا مقابلات مكثفة مع أشخاص ينتمون لهاتين الثقافتين. وتبين لهما أن الأمريكيين ينظرون إلى انفعالي الخزي والغضب باعتبارهما وثيقي الصلة أحدهما بالآخر، وهما يختلفان تماماً عن انفعال السعادة. في مقابل ذلك، يرى الهنود أن الغضب يختلف عن الخزي والسعادة؛ إذ إنه يدمر العلاقات الاجتماعية. أما الخزي والسعادة فهما وثيقا الصلة أحدهما بالآخر؛ فهما أشبه بغراء يعزز العلاقات الاجتماعية. وهذان المثالان، وغيرهما من الأمثلة المشابهة، حرضا على التشكيك في الصحة المطلقة لمبدأ "الكلية النفسية"، وطرح مبدأ بديلاً قائماً على "الكلية النفسية دون أحادية"، وأخذ التنوع الثقافي في الحسبان عند طرح نماذج نظرية تفسيرية لمختلف المفاهيم النفسية (Nisbett & Norenzayan, 2002).

تستقي مشكلة البحث مبرراتها من مصدر ثالث، وهو أن نموذج شوارتز للقيم الرئيسة على خلاف النماذج النظرية الأخرى لم يسع لرصد الفروق بين الثقافات، لكنه اتجه لرصد القيم المشتركة بينها، وأسفر بحثه عن التوصل إلى عشر قيم رئيسة، تكاد العلاقات بينها تتطابق عبر مختلف الثقافات على الرغم من وجود فروق نسبية في ترتيب أولوية تلك القيم. وفسر هذه الفروق في ضوء أن القيم على المستوى عبر الثقافي تعكس ما تعتمده مختلف المجتمعات من حلول للتصدي لما

تواجهه من تحديات تتعلق بتنظيم الأنشطة الحياتية والطرق التي تتبعها المؤسسات في تنميط مختلف الممارسات وشرعنتها. واستخدم في إجراء الدراسة المسحية قائمة للقيم، خضعت لتنقيحات متتالية لتجويد خصائصها السيكوميترية، ولتحقيق تكافؤ القياس عبر مختلف الثقافات، وضم هذا المسح عينات ممثلة من 63 دولة، لكنه لم يشمل أي عينة من المجتمعات العربية (Schwartz et al., 2012)، وسداً لهذه الفجوة، يتركز الاهتمام في هذه الدراسة على التحقق من شيوع القيم التي استخلصها شوارتز في الثقافة المصرية. وتجاوزاً للإشكاليات المتعقلة بأدوات البحث التقليدية، تُستخدم الأمثال الشعبية المصرية لتحقيق هذا الهدف. واستناداً إلى ما سبق يمكن صياغة مشكلة البحث على النحو الآتي: "ما ترتيب أولويات النسق القيمي في الأمثال الشعبية المصرية؟ وما طبيعة البنية العاملية للقيم الرئيسة المتضمنة في الأمثال الشعبية المصرية؟".

مفاهيم الدراسة:

أولاً – مفهوم القيم:

حدد روكيتش (Rokeach, 1973) المكونات الرئيسة لمفهوم القيم في المكون المعرفي الذي يتيح للشخص معرفة ماهية الأشياء والأحداث والتصرفات المرغوب فيها، وتحديد الغايات المقبولة التي ينبغي أن يكافح من أجلها؛ والمكون السلوكي الذي يعمل على تهيئة الاتجاهات ويوجه عملية انتقاء السلوكيات والأحداث؛ والمكون الانفعالي الذي يتعلق بالانفعالات السلبية والإيجابية المرتبطة بتنشيط القيم، وعرّف شوارتز وبيلسكي (Schwartz & Bilsky, 1987) القيم على أنها مجموعة من المفاهيم أو المعتقدات المترابطة، تسهم في تحديد السلوكيات وحالات النهاية المرغوب فيها، وتتجاوز المواقف، وتوجه عملية تقويم السلوك والأحداث، وتُرتب وفقاً لأهميتها. وحدد شوارتز (Schwartz, 2012) ستة ملامح رئيسة للقيم: (1) تتمثل في مجموعة مترابطة من المعتقدات أو المفاهيم المؤثرة في سلوك الشخص. (2) تشير إلى أهداف مرغوب فيها، تدفع الشخص لتحقيقها. (3) تتجاوز المواقف والتصرفات. (4) تعمل بوصفها معايير أو محكات لانتقاء التصرفات وتقويمها، والسياسات، والأشخاص، والأحداث. (5) تُرتب وفقاً لأهميتها النسبية في شكل نسق منتظم من الأولويات. (6) تتحدد التصرفات في ضوء الأهمية النسبية لعديد من القيم. واستخدم شوارتز هذه الملامح المميزة في تصنيف القيم إلى 10 أنواع

رئيسة، يختلف كل نوع منها عن الآخر من حيث الهدف أو الدافع الذي يعبر عنه. وتتبنى هذه الدراسة الحالي نموذج شوارتز في تعريف القيم وتحديدها.

ثانياً – مفهوم الأمثال الشعبية:

يعرف قاموس أوكسفورد المثل على أنه "قول قصير، ومعروف، وشائع الاستخدام، يعبر عن حقيقة عامة، أو يقدم نصيحة محددة (Oxford, 2019)،" ويرى أبو علي (أبو علي، 1988) أن مادة المثل والحكمة واحدة، وغايتهما متقاربة الأهداف، والمسافة التي تفصل بينهما ليست بذات بال؛ فالمثل يصبح لوناً من ألوان الحكمة حين يضفي عليه الحكيم تجريداً، والحكمة تضحي مثلاً إذا تحقق لها شرط الذيوع والانتشار. وذكر عديدا من الخصائص المميزة للأمثال الشعبية، منها: أنها تتسم بإيقاع صوتي خاص يرتبط؛ وتُظهر المهارة الفكرية في الإحاطة بمظاهر الحياة وتغيراتها وحالات النفس البشرية وانفعالاتها؛ وترصد التناقضات في أنماط السلوك البشري؛ وتجمع بين الرمز الحسي والرؤية التأملية المغلفة بصياغة أدبية؛ وتتميز بإيجازها الشديد في تعبيرها عن التجربة.

ويُنظر في هذه الدراسة إلى الأمثال على أنها أدوات لفهم الثقافة، ويتركز الاهتمام فيها على الدلالات النفسية التي يمكن استخلاصها من تحليل تلك الأمثال. وتحديداً، القيم التي تعبر عنها.

الأطر النظرية:

طرحت نماذج عديدة لتفسير التباينات عبر الثقافية في إطار منحى السمة، منها: **نموذج هوفستد** (Hofstede, 1980)، ونموذج **الضبط الأولي مقابل الضبط الثانوي** (Weisz, Rothbaum& Blackburn, 1984)، و**نظرية تغير القيم عبر الأجيال:** (Inglehart, 1990; Inglehart & Baker, 2000)، ونموذج **الفردية مقابل الجمعية:** (Triandis, Chen& Chan, 1998)، ونموذج **الاستقلالية مقابل الاعتمادية المتبادلة** (Markus & Kitayama, 1991).

وتعدّ **نظرية القيم الرئيسة** التي طرحها شوارتز (Schwartz, 1992; 1994) من أهم نماذج هذا المنحى، وقد انتقد فيها إغفال النماذج النظرية السابقة للقيم المشتركة بين مختلف الثقافات، وتركيزها المفرط على القيم المرتبطة ببيئة العمل دون توضيح لطبيعة ارتباط هذه القيم بجوانب أخرى في الثقافة. ولهذا، انتهج شوارتز وزملاؤه نهجاً مغايراً؛ فبدلاً من دراسة الفروق بين الثقافات اتجه لدراسة ما

بينها من تشابهات. واستخلص من نتائج دراساته المسحية عشر قيم رئيسة مشتركة بين مختلف الثقافات: السلطة، والإنجاز، والنزوية hedonism، والتنبيه stimulation، والتوجه الذاتي، والكلية universalism، والخيرية benevolence، والتقاليد، والمسايرة، والأمن.

واقترح شوارتز وجود نمط من العلاقات الديناميكية بين هذه القيم؛ لأن التصرفات المتعلقة بأي نوع من القيم لها مترتبات نفسية وعملية واجتماعية قد تتصارع مع القيم الأخرى أو تتساوق معها. وعلى سبيل المثال، قد يتصارع السعي وراء قيم الإنجاز مع السعي وراء قيم الخيرية؛ فالبحث عن نجاح شخصي يعرقل على الأرجح الأعمال الهادفة إلى تحسين رفاهية الآخرين وثيقي الصلة بالشخص، ممن قد يحتاجون إلى مد يد العون. وعلى هذا المنوال، يتصارع الالتزام بالتقاليد مع قيم التنبيه؛ فقبول العادات والتقاليد والأفكار الدينية والثقافية المتوارثة جيلاً بعد جيل يثبط البحث عن الجدة والتغيير. في مقابل ذلك، تبدو قيم الخيرية والمسايرة متساوقة؛ وتبدو أيضاً قيم الأمن والسلطة متساوقة؛ فكلاهما يؤكد تجنب عدم التأكد من خلال ضبط العلاقات والموارد. ويكشف النمط الكلي لعلاقات الصراع والتساوق بين القيم عن نوعين من القيم أعلى رتبة، ينتظمان حول بعدين رئيسين ثنائيي القطب، هما:

1 – **الانفتاح على التغيير مقابل المحافظة**: يؤكد الانفتاح الاستقلالية الذاتية في الأعمال والأفكار، وتُفضل التغيير (التوجه الذاتي والتنبيه). وتؤكد المحافظة على قيم التقييد الذاتي، والحفاظ على التقاليد والممارسات، وحماية الاستقرار (الأمن، والمسايرة، والتقاليد).

2 – **تجاوز الذات مقابل إذكاء الذات:** يؤكد تجاوز الذات تقبل الآخرين، والمساواة، والسعي لتحقيق الرفاهية لهم (الكلية والخيرية). في مقابل ذلك، يؤكد إذكاء الذات الإنجاز، وتحقيق نجاحات شخصية، والهيمنة على الآخرين (السلطة والإنجاز).

تعقيب:

تُنتقد النماذج ثنائية التصنيف بتمركزها الشديد حول الثقافة الغربية. وينتقد ماركوس وكيتاياما (Markus & Kitayama, 1991) هذا التوجه باعتبار أن ما يؤخذ

على أنه من المسلمات في ثقافة ما، أو يُبخس قدره عن عمد، أو يُتجاهل دون قصد، قد يكون محورياً في ثقافة أخرى.

تكمن خطورة اختزال التباينات عبر الثقافية في تصنيفات ثنائية في أنها تعطي انطباعاً ضمنياً بتخاصم هذه الثقافات، بدلاً من تأكيدها التنوع بوصفه يثري الحياة البشرية. فضلاً عن أن هذه التصنيفات تنطوي على تسليم بثبات الثقافة، ويتنافى هذا مع ما قد يحدث من تغيرات لدى كثير من الجماعات، واندثار لثقافات، وتثاقف جماعات أخرى عبر اتصالها بغيرها من الجماعات.

لم تعط هذه النماذج للجوانب الديناميكية في الثقافة ما تستحقه من اهتمام. ويبدو أن تركيزها على الجوانب الثابتة في الثقافة، السابقة لوجود الشخص، جعلتها تحصر دوره في مجرد المتلقي السلبي لما يُفرض عليه عبر آليات التنشئة الاجتماعية، والربط بين السلوك وما يترتب عليه من نتائج. ويتعارض هذا التصور مع افتراض رئيس لعلم النفس المعرفي، يؤكد أن البشر كائنات إيجابية، ونشطة في بحثها عن المعلومات وفي معالجتها لها. ولعل هذا ما قصده موريس، وفو (Morris & Fu, 2001) حين أشارا إلى أن الأشخاص يتصرفون في مواقف الحياة اليومية بطريقة تؤكد نمط ثقافتهم في بعض الأحيان، ويتصرفون في أحيان أخرى بطرق مغايرة لها تماماً، علماً بأن نموذج السمة، مثله مثل الصور النمطية، يفترض تفشي الثقافة وهيمنة تأثيرها في شتى المواقف.

علاوة على ذلك، لا يتوقف إدراك الأشخاص لبيئاتهم على قيمهم الثقافية فحسب، بل تؤثر فيه أيضاً المتغيرات الموقفية، والفروق الفردية. فقد لاحظ بريلي، ووايز (Briley & Wyer, 2001) أن البناءات المعرفية المتصلة بالثقافة (في مقابل المعرفة المستثارة موقفياً) تنشط لدى المشاركين في الحالات التي يتوجب عليهم فيها تقديم أسباب تفسر اختياراتهم. أما في الحالات التي يتعرضون فيها لمواقف يألفونها، فإنهم يتصرفون بتلقائية، وتتساوى ساعتها تأثيرات المتغيرات الموقفية والمعارف المرتبطة بالثقافة. ولا تصمد التصنيفات الثنائية للثقافة أمام تحديات العولمة؛ نظراً لتجاهلها التفاعلات والتعقيدات الثقافية، وإغفالها ثورة الاتصالات وما أحدثته من تغيير في سرعة تبادل المعلومات، وما قد ينجم عن ذلك من تلاقح ثقافي وتغيير لمفاهيم وبناءات معرفية وقيم مستقرة، بل ربما إدخال أخرى مغايرة لها تماماً (Hermans, 2001).

الدراسات السابقة:

يقتصر الاهتمام في هذه الدراسة على فحص القيم السائدة في الأمثال الشعبية المصرية، ويمكن تصنيف الدراسات السابقة إلى الفئتين الآتيتين:

دراسة القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية:

استخدمت الأمثال الشعبية لتصميم أشكال متنوعة من المقاييس النفسية، مثل اختبارات الذكاء وتقييم القدرات الذهنية والاضطرابات النفسية (Reich, 1981)، وعلى سبيل المثال، افترض أركوش (Arkush, 1984) أن فهم أسباب نجاح الثورة الشيوعية في الصين يقتضي فحص القيم الشائعة بين الفلاحين الصينين وقت حدوثها، وأكد أن الأمثال الشعبية خير وسيلة للوصول إلى هذه القيم، وتبين له أن التفاني في العمل من أكثر القيم شيوعاً بين الفلاحين الصينيين، واستشهد بمثل شائع بينهم، مفاده: "لو أن الإنسان يعمل بجد لما أصيبت الأرض بالكسل". وكشفت دراسة بيج (Page, 1987) عن علاقة دالة بين تقييمات 100 من الأمريكيات ذوات الأصول الإفريقية لأمثال شعبية شائعة وتوجهاتهن على مقياس روكيتش للقيم. وأشارت إلى أن هذه الأمثال تنطوي على صورة إيجابية للذات، وتأكيد لأهمية العلاقات الأسرية.

ويستخدم الآباء في مجتمعات السود الأمريكيين الأمثال لنقل قيمهم المتوارثة إلى الأبناء والأحفاد ولا سيما القيم التي تقدس العلاقات الأسرية، ومعتقداتهم الدينية، ولوحظ ميلهم إلى استخدام السرد الشفاهي والقصص لتجسيد رحلة حياتهم وإضفاء صبغة روحية عليها (Dancy& Wynn-Dancy, 1995; McAdoo& McWright, 2008)،

وقارن كوليتش (Kulich, 1998) القيم الشائعة في أمثال شعبية صينية بتلك الشائعة في دراسات مسحية عبر ثقافية، وكشفت النتائج عن شيوع 45 قيمة في هذه الأمثال، وتبين أن القيم الرئيسة في مسح القيم العالمي لشوارتز (Schwartz, 1992) كانت ممثلة في الأمثال الشعبية الصينية. وتفردت الأمثال الشعبية الصينية ببروز 20 قيمة لم تكن مُدرجة في مسح القيم العالمي. وأشار إلى ثبات ما تكشف عنه الأمثال من قيم ومفاهيم عند إجراء مقارنات عبر ثقافية، وهذا ما أكدته نتائج دراسة أخرى على عينات أمريكية وألمانية وصينية؛ حيث كانت تقييمات المشاركين لعدد

من الأمثال الشعبية الشائعة في ثقافة كل منهم، متسقة مع نتائج المقارنات عبر الثقافية لبعد المخاطرة (Weber, Hsee & Sokolowska, 1998).

وكشفت دراسة أحمد (Ahmed, 2005) عن تأكيد الأمثال الشائعة في شمال السودان ومناطق من الريف الإنجليزي لأهمية التعليم والحفاظ على العلاقات الطيبة واحترام الجيران، وخلصت إلى أن الأمثال الشعبية السودانية تعطي أهمية قصوى لبر الوالدين والوفاء لهما ورعايتهما، وتنشئة الأبناء على توقير المسنين واحترامهم، وتشجيع التشاور بين أعضاء الأسرة والمجتمع حتى في الأمور الخاصة. وأشارت إلى أنه على الرغم من أن كثيراً من الأمثال السودانية تدعو للتكافل الاجتماعي والتضامن، فإن قسماً آخر منها يظهر نوعاً من الاستقطاب الطبقي والعنصري بين السودانيين أنفسهم.

واستخدم رونج (Rong, 2013) درجات عدد من المجتمعات على الأبعاد الثقافية لهوفستد في التحقق مما إذا كانت الأمثال الشعبية الدارجة تعكس هذه الأبعاد بالقدر نفسه أم لا. وكشفت النتائج عن دلائل لم يتسن الوصول إليها باستخدام المقاييس التقليدية، وعلى سبيل المثال أشار إلى أنه على الرغم من تقارب درجات الثقافتين الأمريكية والأيرلندية على بعد تجنب عدم التأكد، فإن الثقافة الأيرلندية أكثر تأكيداً لأهمية الاستمتاع بوقت الفراغ، وهذا ما كشفته الأمثال الشعبية، وعزاه إلى ما تعطيه الثقافة الأمريكية من أهمية قصوى لقيمة التنافسية.

وبالنسبة إلى الدراسات التي أجريت عن الأمثال الشعبية المصرية، فحص خليفة (1992) تقييمات الآباء والأبناء، المتعلمين والأميين، لعينة من 52 مثلاً. واستخلص من تحليله للبيانات أربع قيم سياسية إيجابية، تمثلت في كل من المشاركة، والجرأة في الرأي، والإصرار، والحذر. واستخلص سبع قيم سلبية تمثلت في النفاق، والمحسوبية، والسلبية، والخوف من السلطة، والرضا بالواقع، والانقياد، وفقدان الثقة في القدوة.

وحلل رباح، والطنطاوي (1994) وعزت (1996) محتوى الأمثال الشعبية لتعرّف خصائص الشخصية القومية المصرية، واستخلصا قائمة من السمات الإيجابية، وقائمة أخرى من السلمات السلبية، وتساءل طاهر (2008) عن السبب في ندرة الفلاسفة والمفكرين في الحضارة المصرية على طول تاريخها الممتد، على الرغم من ظهور أعداد وفيرة منهم في شعوب كانت أقل تحضراً، وأقصر عمراً؟

وأرجع هذه الندرة إلى افتقاد المناخ الثقافي للحرية، التي لم ينعم بها المصريون أبداً؛ مما جعل من الأمثال الشعبية وسيلتهم للتعبير عن أنفسهم بحرية كاملة دون قيد، وقد صاغ حكماء الشعب السرّيون فيها خلاصة تجاربهم، وآرائهم، وملاحظاتهم. وبرهن على صحة فرضه ذلك بتحليل محتوى الأمثال الشعبية المصرية، واستخلاص المعالم الرئيسة لفلسفة المصريين المتعلقة بـ 29 جانباً من جوانب الحياة. بداية من معتقداتهم حول الله، والإنسان، ووصولاً إلى روح الفكاهة.

واستخلص محجوب (2011) رؤية سكان الصحراء الغربية المصرية لعديد من القيم مثل الشرف، والعلاقة الزوجية، والحب والكره، وبر الوالدين، والصداقة، والعمل، والكرم والبخل وغيرها من تحليل محتوى الأمثال الشعبية الشائعة بينهم. وجمع عبد الصمد (2014) الأمثال الشعبية الشائعة في مجتمع البيضاء بليبيا ومجتمع الغرق في مصر، واستخلص القيم النظرية والاقتصادية والجمالية والاجتماعية والسياسية والدينية الشائعة في هذين المجتمعين، وحدد أوجه التشابه والاختلاف بينهما.

وكشف تحليل خليل (2015) لمحتوى الأمثال الشعبية المصرية عن أن عدداً كبيراً منها يعزز مشاعر الإحباط والسلبية، وبرهن الضمراني (2017) على الدور المؤثر الذي تؤديه الأمثال الشعبية في بناء العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة المصرية.

المقارنات عبر الثقافية للقيم:

يكشف استعراض التراث البحثي عن وجود أربعة مشاريع مسحية عبر ثقافية كبرى، اتجه الاهتمام فيها إلى اكتشاف القيم السائدة داخل مختلف المجتمعات، وتحديد ترتيبات النسق القيمي في كل منها. ويُعد هوفستد (Hofstede, 1980) من رواد هذا المجال؛ ففي سنة 1970 أتاحت له شركة أي بي إم فرصة الإشراف على دراسة مسحية كبرى، شملت عينات من العاملين بأفرع الشركة في أكثر من 50 دولة حول العالم، يمثلون نطاقات ثقافية متنوعة. شملت العينة الرئيسة لدراسة هوفستد المسحية مشاركين من 7 دول عربية: مصر، ولبنان، وليبيا، والكويت، والعراق، والسعودية، والإمارات. ونظراً لفقد جزء من بيانات هؤلاء المشاركين، لم يتسن إجراء تحليلات منفصلة لكل دولة منهم على حدة، وصنفهم جميعاً باعتبارهم

يمثلون نطاقاً ثقافياً واحداً. وكشف تحليل البيانات عن ارتفاع درجات الدول العربية على مؤشرات السلطوية والجمعية وتجنب عدم التأكد والذكورية.

ويُعد مسح القيم العالمي (world values survey, 2017) من أضخم المشروعات المسحية عبر الثقافية؛ حيث شمل عينات من 100 دولة، تمثل ما يقرب من 90% من سكان العالم. وقد بدأ هذا المشروع في سنة 198 1بدراسة مسحية للقيم في عشر من دول غرب أوروبا. وأُعيد إجراء المسح في المدة من سنة 1995–1996، وفي المدة من سنة 1999–2001. وقد أعطت رابطة مسح القيم العالمي الأولوية لتغطية النطاقين الإسلامي والإفريقي في الموجة الرابعة، من سنة 2000 إلى سنة 2001، وشملت هذه الموجة عينات من 8 دول إفريقية وعشر دول إسلامية.

كشف تحليل نتائج موجات مسح القيم العالمي عن وجود بعدين رئيسين تتباين في ضوئهما مختلف الثقافات حول العالم: القيم التقليدية في مقابل القيم العلمانية العقلانية؛ والقيم البقائية في مقابل قيم التعبير عن الذات. وتُصنف المجتمعات في ضوء التفاعل بين هذين البعدين إلى أربعة أنماط رئيسة: نمط القيم التقليدية والبقائية، ونمط القيم التقليدية وقيم التعبير عن الذات، ونمط القيم العلمانية العقلانية والقيم البقائية، ونمط القيم العلمانية العقلانية.

ضمت عينة المسح بداية من الموجة الرابعة 11 دولة عربية، هي: مصر، والجزائر، والعراق، والأردن، والمغرب، والسعودية، والكويت، وليبيا، وفلسطين، واليمن، ولبنان. وكشفت النتائج عن نمط ثقافي مناطقي واضح. حيث يطغى التأكيد المشدد على القيم التقليدية والبقائية في المجتمعات الإسلامية في الشرق الأوسط. ويطغى التأكيد المشدد على القيم العلمانية العقلانية وقيم التعبير عن الذات في المجتمعات البروتستانتية في شمال أوروبا. وتعكس هذه الفروق الثقافية المناطقية مسارات تاريخية مختلفة لدخول هذه المجتمعات لمرحلة الحداثة.

ارتكز المشروع البحثي الثالث على فروض نظرية القيم الرئيسة لشوارتز (Schwartz, 1992)، ولم يقتصر اهتمامه فيه على بحث الدور الذي تؤديه الخبرات الاجتماعية في تحديد أولويات النسق القيمي لدى الفرد، ولا بالكيفية التي تؤثر بها أولويات النسق القيمي لدى الفرد في توجهاته السلوكية وتفضيلاته واختياراته، لكن اهتمامه الرئيس كان منصباً على تحديد ما إذا كانت العلاقات المتسقة بين القيم، والخبرات الاجتماعية، والتوجهات السلوكية تتبدى أيضاً على مستوى عبر ثقافي.

وسعى لرصد القيم المشتركة بين مختلف الثقافات، والتحقق مما إذا كانت هناك تباينات عبر ثقافية في ترتيب أولويات النسق القيمي، وتحديد أسباب هذه التباينات وتأثيراتها. وبطبيعة الحال، أجري المسح على مجموعات متكافئة، وممثلة لجماعات ثقافية متنوعة، وشمل في مرحلة من مراحله 62 دولة، لكنها لم تشمل أي دولة من الدول العربية، وقد استخلص شوارتز من تحليل البيانات عشرة أبعاد رئيسة للقيم – سبقت الإشارة إليها – وأشار إلى أن هذه القيم شائعة في مختلف الثقافات، وأن التباينات عبر الثقافية تتبدى في ترتيب أولويات النسق القيمي، وفسر ذلك في ضوء عوامل بيئية، وتاريخية، وتكنولوجية، واجتماعية وسياسية.

قامت منظمة القيادة العالمية وفاعلية السلوك التنظيمي (GLOBE, 2017) بإجراء مشروع بحثي عبر ثقافي آخر، بدأت مرحلته الأولى سنة 2004، وشارك فيه 200 باحث من 62 دولة، وجمعت فيها البيانات من 17,000 من مديري مؤسسات وشركات وهيئات متنوعة. وشملت عينة هذا المسح عدداً من الدول العربية (مصر، والمغرب، وقطر، والكويت). وتميز هذا المشروع عن سابقيه بفصله بين جانبين من جوانب تقييم المشاركين للقيم أو لأبعاد الثقافة السائدة: الأول، القيم والممارسات التي يتطلعون لأن تسود في مجتمعاتهم؛ والثاني، القيم والممارسات السائدة بالفعل. وقد أسفر تحليل بيانات عينات المشاركين عن تباينات واضحة في درجاتهم على عدد من الأبعاد الرئيسة. وبالنسبة للعينة المصرية، كشف تحليل تقديرات المشاركين عن تفاوت كبير بين توقعاتهم لما يجب أن تكون عليه الثقافة وبين الممارسات الفعلية السائدة. وعلى سبيل المثال، يعطي المصريون أهمية مرتفعة للتوجه نحو المستقبل، والبعد الإنساني، وتجنب عدم التأكد، في حين أن ممارساتهم الفعلية تعكس تقديرات متوسطة لهذه الأبعاد. ويعطون أيضاً تقديرات منخفضة نسبياً للسلطوية، لكن ممارساتهم الفعلية تكشف عن درجة متوسطة على هذا البعد.

تعقيب:

يُلاحظ أن القدر الأعظم من الدراسات التي أجريت حول الأمثال الشعبية انصب على جمعها وتصنيفها (مثل، تيمور 1956؛ وشعلان، 2003)، ولم تحظ دراسة القيم المتضمنة فيها باهتمام كاف، فضلاً عن أن كثيراً من هذه الدراسات أجري في حقول بحثية أخرى غير علم النفس. ويشوب البعض منها جوانب قصور منهجية واضحة، خاصة ما يتعلق بسحب العينات وثبات تحليل محتوى الأمثال وصدقها، فضلاً عن أن الاستنتاجات لا تتسق في كثير منها مع طبيعة الأدوات المستخدمة ولا العينات

التي أجريت عليها، سواء كانت أمثالاً أم أشخاصاً، وتُبنى في كثير من الأحيان على شروحات لمعاني الأمثال. علاوة على ذلك، تغيب عن هذه الدراسات النماذج النظرية المثبتة، ويقتصر تحليل الأمثال فيها على الشرح والتفسير. ومع هذا، تتفق نتائج هذه الدراسات على أهمية الأمثال، وترى أنها أداة جيدة لفهم القيم السائدة في ثقافة محددة، وتكشف في بعض الأحيان ما يخفى عن أدوات القياس التقليدية.

تكشف نتائج المقارنات عبر الثقافية عن ميل واضح لدى العينات العربية للاتجاه نحو السلطوية، والجمعية، وتجنب عدم التأكد، والذكورية (Hofstede, 1980; GLOBE, 2017)، وينبغي أن تؤخذ هذه النتائج بنوع من الحذر، ولا سيما أن نتائج الدراسات عبر الثقافية بُنيت على عينات غير ممثلة للمجتمعات التي سُحبت منها؛ إذ يدخل معظمها ضمن ما يعرف بالعينات المتيسرة. ويبدو أن انتماء هؤلاء الأشخاص لمؤسسة واحدة يزيد من أرجحية تقاسمهما لخصائص مشتركة. ولا يوجد ما يضمن تكافؤ خصائص العينات التي تنتمي لدول العالم الأول، الأكثر رخاء، ودول العالم الثالث، الأكثر فقراً. خاصة، ما يتصل منها بأدوار الأشخاص في كل فئة من هاتين الفئتين. لهذا، يظل تحقيق التكافؤ بين العينات في جميع المتغيرات، ما عدا ما يتصل منها بدور الثقافة، مثار جدل (Smith, Dugan& Trompenaars, 1996)،

علاوة على ذلك، تنطلق الدراسات عبر الثقافية من مسلمات تعكس جوهر الثقافة الغربية، وتكمن إشكالية هذا التوجه في أن أي مقارنة بين الثقافة الغربية وغيرها من الثقافات تنطوي على تلميحات ضمنية، في أحيان كثيرة، وفجة في أحيان أخرى، بأن تأخر أمم وشعوب وجماعات يرجع إلى عوامل متجذرة في بنية هذه الثقافات، وأن أي تقدم لن يحدث دون تبني النموذج الثقافي الغربي باعتباره نموذجاً معيارياً للتقدم والتحضر. ولا تعني هذه المآخذ رفض نتائج هذه الدراسات؛ إذ أنها تستند إلى منهج علمي محكم في مقارناتها، فضلاً عن كونها تعكس واقعاً فعلياً، وتوفر منطلقات جيدة لبدء دراسات متعمقة لكثير من الثقافات.

المنهج والإجراءات:

يُستخدم المنهج الوصفي التحليلي في إجراء الدراسة الحالية، وتُستخلص القيم من الأمثال الشعبية باستخدام أسلوب تحليل المحتوى، ويُعتقد بأنه هو الأنسب لتحليل أي مادة ذات معنى، سواء كانت نصاً أم صورة أم غيرها (Krippendorff, 1980)، وتتمثل الخطوات الرئيسة لتحليل المحتوى في انتقاء

وحدات التحليل، وتحديد الفئات، وسحب عينات مناسبة من المضمون، وفحص ثبات الترميز (Prasad, 2008).

إجراءات الدراسة:

1 – تحديد مادة الأمثال الشعبية المصرية: تقتصر مادة هذه الدراسة على مجموعة الأمثال العامية التي كتبها أحمد تيمور. وقد صدرت الطبعة الأولى سنة 1949، وقد رجحت المفاضلة استخدام هذه المجموعة لعدد من الأسباب، أهمها اشتراك عديد من الأشخاص في جمعها وشرحها؛ وتمثيلها لكثير من فئات المجتمع المصري تمثيلاً جيداً؛ واستعانة المؤلف، فيما يبدو، بكتب أمثال لمؤلفين سابقين؛ والتزامه الصارم بالضوابط المنهجية؛ والشروح الوافية للأمثال.

2 – تنقية مادة الدراسة: تم استبعاد الجمل المثلية التي لا تتناسب مع أهداف الدراسة. ويشير شعلان (2003) إلى أن تعبيرات مثل "من فضلك – فضلة خيرك – صباح الفل على الناس الفل... إلخ" تستخدم في تلطيف التفاعلات اليومية، وترتبط بسياق محدد من حيث: الزمان والمكان، والمرسل، والمستقبل، وهي لا تستوفي بذلك المعايير التي استخلصها شوارتز (Schwartz, 1992) في تحديد القيم، وتبعاً لهذا الإجراء اقتصرت مادة الدراسة على تحليل محتوى 1745 مثلاً من كتاب "الأمثال العامية".

3 – وضع تصنيف فئوي للأمثال: يبدأ تحليل المحتوى بتحديد الفئات الرئيسة للمادة، وقد يُستعان فيه بتصنيفات سابقة، وربما تُستخدم دون أي تغيير. (Prasad, 2008)، وتتبنى الدراسة الحالية تصنيف شوارتز (Schwartz, 1992) للقيم، الذي اقترح فيه 10 فئات للقيم، عرفها إجرائياً، وحدد أبعادها الدلالية على النحو الآتي: (1) السلطة: الوصول إلى وضع اجتماعي متميز، والتحكم في الآخرين والموارد. (2) الإنجاز: تحقيق نجاحات شخصية وإظهار الكفاءة وفقا للمعايير الاجتماعية. (3) النزوية: الحصول على المتعة والإشباع الحسي للذات. (4) التنبيه: السعي وراء الإثارة، والجدة والتحديات في الحياة. (5) التوجه الذاتي: الاستقلالية الفكرية وحرية الفعل، والإبداع، والاستكشاف. (6) الكلية: الرغبة في الفهم، والتقدير، والتسامح وتحقيق الرفاه لكل البشر وحماية الطبيعة. (7) الخيرية: سعي الشخص لتحسين رفاهية المحيطين به والحفاظ عليهم. (8) التقاليد: الاحترام، والالتزام والتقبل للعادات والأفكار المتضمنة في الثقافة. (9) المسايرة: تقييد الأعمال،

والميول والاندفاعات التي قد تزعج الآخرين أو تلحق بهم الضرر، وتنتهك التوقعات الاجتماعية والأعراف. (9) الأمن: تأكيد السلامة، وتناغم المجتمع واستقراره.

4 – **انتقاء وحدات التحليل:** اتساقاً مع الهدف من إجراء هذه الدراسة، تُستخدم القيمة التي يعبر عنها المثل كوحدة تحليل.

5 – **الدراسة الاستطلاعية:** أُجريت الدراسة الاستطلاعية بهدف مراجعة الكتب المنشورة عن الأمثال العامية، وإجراء مفاضلة فيما بينها لاختيار الأنسب منها لموضوع هذه الدراسة؛ ولتحديد محكات انتقاء البيانات (الأمثال) التي تتناسب مع موضوع هذه الدراسة، وتجيب عن أسئلتها؛ معرفة مدى ملاءمة جداول الترميز؛ واختبار دقة التصنيف الفئوي لبيانات الدراسة، والتحقق من مدى شمولية هذا التصنيف وتغطيته لكل فئات الظاهرة؛ والكشف عن جوانب عدم الاتساق أو التعارض في التصنيف الفئوي؛ والتحقق من الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة البيانات. وأسفرت نتائج الدراسة الاستطلاعية عن اختيار كتاب الأمثال العامية، وانتقاء 1745 مثلاً من أمثاله لتحليل مضمونها.

6 – **التحقق من الخصائص السيكوميترية لتحليل المحتوى:** المفاضلة بين طرق حساب الثبات والصدق تتوقف في أحيان كثيرة على طبيعة المادة أو البيانات التي يتم جمعها. وبطبيعة الحال، تختلف الأمثال الشعبية عن بنود المقاييس النفسية؛ ثمة فارق كبير بين بنود تُعد خصيصاً للتعبير عن خاصية نفسية محددة، وجمل تختلقها قريحة العامة وخيالها للتعبير عن تجارب شخصية. الأولى يُراعى في إعدادها أسس ومعايير إعداد الأدوات النفسية، ويسهل التحقق من خصائصها السيكوميترية. والثانية عفوية، وتعبر عن خبرات ومفاهيم متنوعة. ومن ثم، تتطلب مؤشرات للثبات والصدق تتناسب مع طبيعتها. وقد روعي في تحليل المحتوى تحقق الخصائص الآتية:

أ – **الموضوعية:** إذا كانت الموضوعية تعني البعد عن الأهواء والتحيزات عند رصد ظاهرة ما، أو اتفاق عدد من الباحثين عليها، يُرجح أنها قد تحققت في استخلاص القيم المتضمنة في الأمثال الشعبية المصرية للأسباب الآتية: (1) الشروح الوافية للأمثال الشعبية، وتفسير المفردات المبهمة والغامضة؛ مما جعل من تحديد القيم التي تنطوي عليها أمراً يسيراً. (2) استعانة المؤلف بالأمثال الواردة في كتب سابقة، وإعادة شرحه لها. فضلاً عن اشتراك لجنة النشر في شرح كثير من الأمثال، واستكمال ما

نقص من شروحاتها. (3) التأكد من دقة شروحات الأمثال بالاحتكام لكتب أمثال أخرى. وهذه مزية من مزايا كتاب "الأمثال العامية"؛ إذ إن استعانة مؤلفه بكتب سابقيه، واستعانة المؤلفين اللاحقين بكتابه جعل من الحكم على موضوعية شروحات بعض الأمثال الغامضة أمراً ممكناً. (4) تحديد الفئات الرئيسة للقيم، وتحديد الدلالات المفاهيمية لكل قيمة، وكذلك محكات الحكم على القيم.

ب – الثبات: تبرز قضية ثبات تحليل المحتوى بشكل مُلح في أثناء مرحلة ترميز وحدة التحليل في الفئة التصنيفية المناسبة لها. وقد يتحقق ذلك بترميز الباحث نفسه لوحدات تحليل المحتوى، أو باستخدام مُرمز آخر، أو بإجراء دراسة استطلاعية على عينة صغيرة من البيانات. ويؤخذ في الحسبان أن ثبات تحليل المحتوى يتأثر بالمدد الزمنية الفاصلة بين مراحل التحليل، وتعدد أدوات القياس، وتعدد الباحثين القائمين بالتحليل (Prasad, 2008)، وقد وضعت هذه العوامل في الحسبان عند تحليل محتوى الأمثال الشعبية المصرية، إذا تكفل الباحث بترميز كل وحدات التحليل بمفرده، وباستخدام الفئات التصنيفية نفسها دون أي تغيير في التعريفات الإجرائية للقيم أو لمحكات تحديدها. وتم التحقق من ثبات تحليل المحتوى باستخدام طريقة الاختبار – إعادة الاختبار، وكانت المدة الفاصلة بين الاختبارين الأول والثاني 4 أسابيع، وأعاد الباحث فحص الأمثال التي اختلف تقييمها بين الاختبارين، واقتضى ذلك الرجوع إلى كتب أمثال أخرى والاستزادة مما فيها من شرح وتفسير لتلك الأمثال، وأسفرت هذه الإجراءات في نهاية المطاف عن الحصول على نسبة اتفاق مرتفعة (0,94) بين التحليلين.

ج – الصدق: توحي إجراءات تحليل المحتوى في هذه الدراسة بتحقق عدد من مؤشرات الصدق. وأولها صدق المحتوى، الذي يمكن الوصول إليه بتوافر عدد من الاشتراطات، ومن أبرزها: التعريف الدقيق لفئات التحليل ووحداته، والحصر الوافي لمعدلات تكرار الظاهرة، واتباع إجراءات منهجية صحيحة، والدقة في اختيار العينة (طعيمة، 2004). وترجح الإجراءات المتبعة في البحث الحالي توافر تلك الاشتراطات، ويبدو ذلك بوضوح في اختيار وحدات تحليل محتوى تتناسب مع طبيعة البيانات؛ فالأمثال العامية، مصوغة في شكل جمل مستقل بعضها عن بعض، ولم ترد في سياق نصوص أكثر شمولية، وتنقل حكمة، أو فكرة، أو قيمة، أو خبرة. لهذا، لا تتناسب الكلمات، على سبيل المثال، مع تحليل محتواها ولا مع أهداف الدراسة؛ فالكلمة هنا لن تعبر عن الرسالة التي ينطوي عليها المثل تعبيراً صحيحاً، فضلاً عن اختلاف كلمات

اللغة العامية من لهجة إلى أخرى؛ ومن ثم قد لا تعكس تكراراتها التمثيل الفعلي للقيم. وتجنباً لهذه الإشكالية، تم اختيار الموضوع أو الفكرة الرئيسة لاستنتاج القيمة التي يؤكدها المثل. ويبدو هذا مؤشراً مقبولاً على الصدق الموجه نحو البيانات.

وقد أسهم استخدام التصنيف الفئوي للقيم الرئيسة في تحقق مؤشر آخر لصدق تحليل المحتوى؛ وذلك نظراً لأن التصنيف الذي قدمه شوارتز (Schwartz, 1992) ارتكز على مسوح عبر ثقافية، شملت عديداً من الثقافات والثقافات الفرعية. فضلاً عن كونه استهدف القيم الرئيسة المشتركة بين مختلف الثقافات، كما أنه قدم تعريفات إجرائية دقيقة للقيم الرئيسة. وتوحي هذه الاعتبارات بتحقق الصدق الدلالي في الفئات التصنيفية لتحليل المحتوى.

وإذا كانت الدقة في اختيار العينة أحد مؤشرات صدق المحتوى (طعيمة، 2004)، وذلك باعتبارها تعكس درجة تمثيل الأداة للسمة المقيسة، فقد تحققت عند أكثر من مستوى. وتسليماً باستمرارية الأمثال، وانتقالها من جيل إلى جيل، واحتفاظها بقيمها الرئيسة، يُفترض أن تتكرر النسبة الكبرى للأمثال من كتاب إلى آخر. وتوحي هذه التكرارية بأن أي كتاب من هذه الكتب يوفر عينة ممثلة للأمثال الشعبية المصرية؛ ومن ثم، يعبر محتوى ما يتم تحليله عن القيم السائدة فيها تعبيراً صادقاً، ويحقق هذا ما يُطلق عليه الصدق الخارجي. وتجدر الإشارة إلى أن عدد الأمثال الشعبية المصرية يتفاوت من كتاب إلى آخر. وعلى سبيل المثال، يحتوي كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" على 15,000 مثل (شعلان، 2003)، وهي الأكبر. يليه كتاب "موسوعة الأمثال الشعبية"، ويحتوي على 4673 مثلاً (طاهر، وطاهر 2006). وبتطبيق معادلة ستيفن ثامبسون لتحديد حجم العينة تبين أن العينة الممثلة لكتاب "موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة" = 375 مثلاً، وأن العينة الممثلة لكتاب "موسوعة الأمثال الشعبية" = 355 مثلاً. ونظراً لاحتواء كتاب "الأمثال العامية" على 3188 مثلاً، فإنه يمثل الأمثال الشعبية المصرية تمثيلاً جيداً. كذلك، تبدو عينة الأمثال المُنتقاة من هذا الكتاب لتحليل محتواها ممثلة للأمثال الواردة في هذا الكتاب تمثيلاً جيداً؛ إذ تكشف معادلة ستيفن ثامبسون عن أن العينة الممثلة لكتاب الأمثال العامية، الذي يحتوي على 3188 مثلاً = 342 مثلاً؛ ومن ثم، يبدو أن تحليل محتوى 1745 مثلاً يعد مؤشراً جيداً على دقة اختيار العينة وتمثيلها للمجتمع الأصلي تمثيلاً جيداً، ويحقق هذا بجانب صدق المحتوى الصدق الخارجي للدراسة.

وعلاوة على ما سبق، كشف تحليل البيانات عن توافر صدق التكوين في تحليل محتوى الأمثال في هذه الدراسة، ويُستدل عليه من طبيعة العلاقة بين أبعاد القيم الرئيسة؛ إذ تؤخذ العلاقات الارتباطية الموجبة بين القيم المتشابهة باعتبارها مؤشراً على الصدق التقاربي لتحليل المحتوى، وتؤخذ العلاقات السالبة بين القيم المتعارضة باعتبارها مؤشراً على الصدق التمييزي لتحليل المحتوى.

نتائج الدراسة:

لتحديد أولويات النسق القيمي في الأمثال الشعبية المصرية، حُسبت متوسطات وتكرارات القيم المتضمنة في تلك الأمثال. ويعرض جدول (1) نتائج هذا الإجراء. ويكشف هذا الجدول عن عدد من النتائج المهمة: (1) تمثيل الأمثال الشعبية المصرية للقيم الرئيسة. (2) اختلاف الأهمية النسبية لهذه القيم. (3) تصدر قيمة المسايرة للنسق القيمي في الأمثال الشعبية المصرية (م=0,29) وتزيل قيمة التنبيه له (م=0,02).

جدول (1)
يعرض متوسطات القيم الرئيسة مرتبة تنازلياً (ن=1745)

القيمة	عدد	متوسط
المسايرة	512	0,29
التقليدية	489	0,28
الأمن	475	0,27
الإنجاز	424	0,24
الخيرية	353	0,20
السلطة	297	0,17
النزوية	270	0,15
الكلية	162	0,09
التوجه الذاتي	100	0,06
التنبيه	36	0,02

جدول (2)
تشبعات القيم على العوامل

القيمة	التشبعات
المسايرة	0,54
التقليدية	0,56
الأمن	0,41
الإنجاز	0,34
الخيرية	0,46
السلطة	0,52
النزوية	0,76
الكلية	0,63
التوجه الذاتي	0,52
التنبيه	0,48

ونظراً لاختلاف طبيعة الأمثال الشعبية المصرية عن طبيعة المقاييس النفسية وبنودها، وعدم التأكد مما تنطوي عليه من قيم وعلاقات فيما بينها، فإن تحديد البنية العاملية للنسق القيمي في هذه الأمثال يبدأ أولاً بالتحليل العاملي الاستكشافي لتحديد الأبعاد الرئيسة للقيم، ثم التحليل العاملي التوكيدي بعد ذلك للتحقق من إمكانية اختزال هذه الأبعاد إلى بعدين رئيسين ثنائيي القطب. وبناء على ذلك، أجري تحليل عاملي استكشافي للبيانات باستخدام طريقة المكونات الأساسية، ومحك كايزر، وعملية تدوير مائل للعوامل باستخدام طريقة أوبليمين Oblimine، وكشفت نتائج الاختبارات الإحصائية عن كفاية حجم عينة الدراسة لإجراء التحليل العاملي؛ حيث كانت قيمة اختبار كايزر–ميلر–أولكن 0,58، وكانت قيمة اختبار بارتليت 892,500 وبمستوى دلالة 0,000؛ مما يشير إلى اختلاف مصفوفة الارتباط عن المصفوفة الواحدية، ويوحي بوجود تباينات مشتركة بين متغيرات الدراسة تعكس مجموعة من العوامل الكامنة. وعلى العكس من ذلك، أفضت عملية التدوير المائل للعوامل المُستخلصة عن نتائج يصعب تفسيرها في ضوء النموذج النظري المفترض، ولذلك استعيض عنها بعملية تدوير متعامد للعوامل باستخدام طريقة فاريماكس Varimax، وتجدر الإشارة إلى أن الهدف من استخدام أي من الطريقتين يتمثل في الوصول إلى بنية عاملية بسيطة ذات معنى وقابلة للتفسير، ولا يوجد أساس منطقي لتفضيل طريقة تدوير على أخرى، ويكمن أساس التفضيل في طبيعة موضوع الدراسة وفي الوصول إلى درجة مرتفعة من الثبات تتيح للباحث طرح تفسير متماسك للنتائج (مراد، 2000). ويوضح جدول (2) السابق وجدول (3) الآتي نتائج التحليل العاملي الاستكشافي.

ويكشف جدول (3) عن نتيجتين رئيستين، الأولى: اختزال القيم العشر إلى أربعة عوامل رئيسة، والثانية: تشبع بعض القيم تشبعاً موجباً على هذه الأبعاد، وتشبع قيم أخرى تشبعاً سالباً عليها؛ مما يوحي بوجود أبعاد ثنائية القطب للقيم، ويقدم دليلاً آخر على توافر صدق التكوين لتحليل المحتوى في هذه الدراسة، باعتبار أن هذه النتيجة تتسق مع افتراض شوارتز وجود علاقات تعارض بين بعض القيم وعلاقات تساوق بين قيم أخرى.

جدول (3)
القيم الرئيسة بعد إجراء عملية تدوير للعوامل

القيم	العوامل			
	الأول	الثاني	الثالث	الرابع
الخيرية	0,64			
السلطة	0,61–	0,32–		
الإنجاز	0,56–			
التقليدية	0,56			0,36
الذاتية		0,71		
التنبيه		0,69		
النزوية			0,83–	
المسايرة			0,60	0,37
الكلية	0,34			0,70–
الأمن				0,59
الجذر الكامن	1,614	1,217	1,203	1,193
النسبة المئوية للتباين	16,140	12,166	12,034	11,934
النسبة التراكمية	16,140	28,306	40,340	52,275

بعد ذلك، أجري التحليل العاملي التوكيدي باستخدام برنامج Mplus. 7 للتحقق من جودة مطابقة نموذج البعدين الرئيسين ثنائي القطب مع بيانات العينة. وتتمثل أهم مؤشرات جودة المطابقة التي يوفرها هذا البرنامج في كل من مربع كاي ($\chi 2$)، ومؤشر جذر متوسط مربع الخطأ التقريبي Root Mean Square Error of Approximation (RMSEA)، ومؤشر جودة المطابقة المقارن Comparative Fit Index (CFI)، ومؤشر جذر متوسطات مربعات البواقي المعيارية Standardized Root Mean Square Residual (SRMR)، ومؤشر توكر لويس Tucker- Lewis Index (TLI)،

وكشفت نتائج التحليل العاملي التوكيدي عن أن مؤشر المطابقة لقيمة مربع

كاي $\chi 2$ دال إحصائياً؛ مما يشير إلى اختلاف مصفوفة التغاير التي يفسرها النموذج المفترض عن مصفوفة التغاير الفعلية لبيانات العينة. وبجانب ذلك، وقعت قيم بقية مؤشرات جودة المطابقة خارج المدى المثالي؛ حيث كانت أقل من 0,90، ويكشف ذلك عن سوء مطابقة نموذج البعدين المفترض مع بيانات العينة. ويعرض جدول (4) مؤشرات جودة مطابقة النموذج المفترض مع بيانات العينة، ويعرض جدول (5) تشبعات القيم على البعدين ثنائيي القطب، اللذين يفترض النموذج وجودهما.

جدول (4)
مؤشرات جودة مطابقة نموذج البعدين

مربع كاي $\chi 2$	درجة الحرية	الاحتمال	جذر متوسط مربع الخطأ التقريبي	جودة المطابقة المقارن	جذر متوسطات مربعات البواقي المعيارية	مؤشر توكر لوييس
279,217	34	0,0000	0,064	0,71	0,043	0,61

جدول (5)
تشبع القيم الرئيسة على البعدين ثنائيي القطب

البعد	القيم	التشبع
بعد إذكاء الذات في مقابل تجاوز الذات	السلطة	0,26
	الشمولية	0,14–
	الخيرية	0,54–
	الإنجاز	0,34
بعد الانفتاح على التغيير في مقابل المحافظة	التنبيه	0,15
	الذاتية	0,19
	التقليدية	0,71–
	الأمن	0,14–
	المسايرة	0,38–
	النزوية	0,18

ويكشف جدول (5) عن الطبيعة ثنائية القطب للبعدين الرئيسين للقيم، ويُلاحظ

ذلك من التشبعات الموجبة والسالبة للقيم على هذين البعدين. وقد كانت أكثر القيم تشبعاً على البعد الأول قيمة الخيرية (−0,54)، وأقلها تشبعاً عليه قيمة السلطة (0,26). وبالنسبة للبعد الثاني، كانت قيمة التقليدية (−0,71) أكثر القيم تشبعاً عليه، وقيمة النزوية (0,18) الأقل تشبعاً عليه.

مناقشة النتائج:

تكشف النتائج عن تمثيل الأمثال الشعبية المصرية للقيم العشر الرئيسة التي أوردها شوارتز في نظريته (مثل، 1992؛ 1994). وتتسق هذه النتائج مع افتراض عالمية القيم الرئيسة، وتبرهن على حساسية الأمثال الشعبية الشديدة لمعظم جوانب الثقافة، وتثبت جدوى استخدامها في بحث الظواهر النفسية الاجتماعية. وقد أشار شوارتز (2012) إلى أن التحقق من نظرية القيم الرئيسة شمل سحب عينات ممثلة من 82 دولة. والمثير للدهشة، وفقاً لشوارتز (2012)، أن ترتيب أولويات القيم العشر عبر المجتمعات يبدو متشابهاً إلى حد بعيد؛ ولوحظ ذلك في العينات التي سُحبت على مستوى قومي، وقد انطبقت هذه الخاصية على 37 عينة (Schwartz, 2006; Bilsky, Janik & Schwartz, 2011; Davidov, Schmidt & Schwartz, 2008)، وكشف ترتيب الأوزان النسبية للقيم عن كون قيم الخيرية، والكلية، والتوجه الذاتي الأكثر أهمية. وأن قيم السلطة، والتنبيه، هي الأقل أهمية. وتقع قيم الأمن، والمسايرة، والنزوية، والإنجاز، والتقاليد، على التوالي، بين الفئتين السابقتين.

ويكشف جدول (1) عن ترتيب مغاير لأولوية القيم العشر الرئيسة في الأمثال الشعبية المصرية. وتُلاحظ أهم معالمه في تصدر قيم المسايرة، والتقليدية، والأمن للمراكز الثلاثة الأولى للنسق القيمي في الأمثال الشعبية المصرية. وتأتي بعدها قيم الإنجاز، والخيرية، والسلطة، والنزوية). وتمثلت القيم الأقل أهمية في كل من الكلية، والتوجه الذاتي، والتنبيه.

وأسفر تحليل البيانات عن استخلاص أربعة عوامل رئيسة. وإن كانت هذه العوامل لا تتسق اتساقاً كاملاً مع ما أشار إليه شوارتز (Schwartz, 1992)، لكنها تعكس في مجملها جوهر نظرية القيم الرئيسة؛ فقد تشبعت على العامل الأول قيم الخيرية والتقليدية والكلية تشبعاً موجباً، وتشبعت عليه قيمتا السلطة والإنجاز تشبعاً سالباً. ويشبه هذا العامل بعداً ثنائي القطب أورده شوارتز (Schwartz, 2012) في تحليله لبيانات العينات عبر الثقافية. تضادت عبر طرفيه قيم إذكاء الذات self-

enhancement مع قيم تجاوز الذات self-transcendence، لتتجمع القيم التي تؤكد الاهتمام بالآخرين وبرفاهيتهم (الكلية والخيرية) عند أحد الطرفين، وتتجمع القيم التي تؤكد حرص الشخص على ذاته وتحقيق أهدافه ونجاحه وهيمنته على الآخرين (قيمتا السلطة، والإنجاز) عند الطرف الآخر.

تشبعت على العامل الثاني قيم التوجه الذاتي والتنبيه تشبعاً موجباً، وتشبعت عليه قيمة السلطة تشبعاً سالباً. وقد أورد شوارتز (Schwartz, 2012) بعداً يشبه هذا العامل. تتضاد عبر طرفيه قيم الانفتاح على التغيير التي تؤكد استقلالية التفكير وحرية الفعل وتجرد المشاعر وتقبل التغيير (قيم التوجه الذاتي والتنبيه)، في مقابل قيم المحافظة التي تؤكد التراتبية، والانضباط، وتقييد الذات، وتمجيد الماضي، ومقاومة التغيير (قيم الأمن، والمسايرة، والتقليدية).

تشبعت على العامل الثالث قيمة المسايرة تشبعاً موجباً، وتشبعت عليه قيمة النزوية تشبعاً سالباً. ولا يتسق هذا العامل على هذا النحو مع أي بعد من الأبعاد التي استخلصها شوارتز (Schwartz, 2012) في تحليله لبيانات العينات عبر الثقافية. ومع هذا، يكشف استعراض الأبعاد التي أوردها شوارتز عن علاقة تضاد واضحة بين قيمة المسايرة والنزوية في أي بعد تكررتا فيه. وعلل شوارتز ذلك بأن انغماس الشخص في إشباع رغباته وسعيه وراء نزاوته يتعارض مع التقيد بالمعايير والأعراف السائدة وكبح جماح النفس انصياعاً للضوابط المجتمعية. وقد جاءت قيمة المسايرة ضمن قيم حماية الذات self-protective values، وجاءت قيمة النزوية في الطرف المقابل ضمن قيم إثراء الذات self-expansive values، كذلك، ظهرت قيمة المسايرة ضمن قيم الجمعية، وجاءت قيمة النزوية ضمن قيم الفردية.

تشبعت على العامل الرابع قيم التقليدية والأمن والمسايرة تشبعاً موجباً، وتشبعت عليه قيمة الكلية تشبعاً سالباً. ويتسق هذا العامل مع كون القيم تنتظم في ضوء بواعث القلق إلى قطبين متضادين. يتمثل أحدهما في قيم حماية الذات التي تؤكد مواجهة القلق الناتج من عدم التأكد في الحياة الاجتماعية والبيئية المحيطة. ويسعى الأشخاص من خلالها إلى تجنب الصراع (المسايرة) وإلى الحفاظ على الضبط الاجتماعي والنظام السائد (التقليدية والأمن) أو السعي النشط للسيطرة على التهديدات (السلطة). ويتمثل الآخر في قيم إثراء الذات التي تعكس التحرر من بواعث القلق. وتشمل قيم النزوية، والتنبيه، والتوجه الذاتي، والكلية، والخيرية. وتقع

قيمة الإنجاز بين كلا الطرفين على حد سواء؛ إذ إن استيفاء متطلبات النجاح وفقاً للمعايير الاجتماعية السائدة قد يجعل المرء أكثر قدرة في ضبط القلق، فضلاً عن أنه قد يعزز إحساسه بالجدارة (Schwartz, 2012).

وجاءت نتائج التحليل العاملي التوكيدي منسجمة مع الخط العام لنتائج الدراسة، وغير متسقة مع نموذج شوارتز للقيم الرئيسة الذي يفترض وجود بعدين رئيسين ثنائيي القطب، يمكن تصنيف القيم في ضوئهما، وكشفت النتائج عن سوء مطابقة هذا النموذج لبيانات العينة. لكنه أكد وجود تشبعات موجبة وسالبة للقيم على هذين البعدين، وكشف عن اختلاف تشبعات القيم عليهما. وتكاد قيمة الخيرية أن تكون الأكثر تعبيراً عن البعد الأول؛ حيث كانت الأعلى تشبعاً عليه (0,54−)، في حين كانت قيمة التقليدية الأكثر تعبيراً عن البعد الثاني؛ حيث كانت الأعلى تشبعاً عليه (0,71−).

تبدو نتائج الدراسة الحالية متسقة جزئياً مع افتراضات نموذج القيم الرئيسة لشوارتز، ويبدو هذا الأمر منطقياً؛ وذلك باعتبار أن الأمثال الشعبية تعبر عن جوانب الخصوصية الثقافية، وتعكس البناءات المعرفية المشتركة بين أعضاء ثقافة محددة، وتكشف عن دلالة كثير من المفاهيم لديهم. وإن صح ذلك، يُرجح وجود فروق جوهرية في دلالة مفاهيم مثل السلطة، أو الخيرية، أو الكلية في الأمثال الشعبية المصرية مقارنة بما هو شائع في ثقافات أخرى. وربما هذا هو السبب في التشبع السالب لقيمة السلطة على العامل الثاني. ويعزز هذا الاستنتاج نتائج دراسات هوفستد (Hofstede, 1980) التي كشفت عن ارتفاع العينات العربية على بعد مسافة السلطة. ويُعرف عن المجتمعات السلطوية أنها تعطي أولوية قصوى للطاعة والانصياع لتوجيهات من هم أعلى منزلة في التراتبية الاجتماعية، والمساواة لديهم أكثر أهمية بكثير من الحرية، وتلتزم السلطة بالتقاليد السائدة وتؤكدها، وتسود أفكار ورؤى أحادية، ولا تقبل هذه الثقافات الاختلاف ولا تتسامح مع التنوع. لهذا، كان من الطبيعي أن تتشبع قيمة السلطة تشبعاً سالباً على عامل تشبعت عليه قيم الانفتاح على التغيير تشبعاً موجباً، وكأن مهمة السلطة أن تمارس أقصى درجات الضبط وأشدها: ضبط سلوكي وفكري. والهدف الدافعي لها الهيمنة على الآخرين والسيطرة على الموارد للحد من القلق بشأن الأمنين الجسمي والنفسي الاجتماعي. لهذا، لا غرابة في أن تقمع هذه الثقافة قيماً تنادي بالاستقلالية وحرية الفكر والفعل؛ فهذه الحريات تهدد السلطة القائمة وتنزع عنها القداسة!

يعزز هذا الطرح ما أشار إليه روس وشوارتز وسيركيس (Ros, Schwartz & Surkiss, 1999) من أن الحرص على تحقيق قيمة التقليدية يتصارع مع الحرص على تحقيق قيمة التنبيه؛ فقبول المعايير السائدة، والتسليم بصحة المعتقدات والأفكار المتوارثة عن الأسلاف يثبط السعي وراء الجدة والإبداع. وينطبق ذلك أيضاً على قيمة الكلية التي تشبعت تشبعاً سالباً على العامل الرابع. فوفقاً لشوارتز (Schwartz, 1992)، تبرز قيمة الكلية في تصرفات الجماعة وأعضائها حيال الجماعات الأخرى في ظل إلحاح الحاجات البقائية. وقد يدرك الأشخاص ساعتها أن الفشل في قبول الآخرين والتعامل معهم بطريقة غير عادلة يفضي إلى نشوب نزاعات مدمرة، وأن إهدار الموارد البيئية وإساءة استخدامها يهدد بقاءهم. وعلى الرغم من أن هذه القيم قد تغيب عن الجماعات الثقافية الصغيرة، والمعزولة، والمتجانسة، لكن يرجح بروزها بدرجات متفاوتة في شتى الثقافات. فإذا كانت قيمة الكلية تظهر عند الاتصال بجماعات أخرى في ظل شح الموارد وضغوط الجماعة لإشباع حاجاتها، يصبح التصارع بين قيمة الكلية وبقية القيم المتشبعة على العامل الرابع أمراً منطقياً. فإعطاء الأولوية لقيمة الكلية يترتب عليه تقاسم الموارد بعدالة مع الجماعات الأخرى دون اعتبار لما يترتب على ذلك من تقييد يد الجماعة في استهلاك هذه الموارد. ويتنافى ذلك مع قيم المسايرة، والأمن، والتقليدية، التي تُعلي في مجملها من شأن الجماعة الرئيسة، وتعطي الأولوية لتأمين احتياجاتها دون اعتبار لحاجات الجماعات الأخرى. ويتسق هذا التفسير مع ما تعرض له المجتمع المصري من ظروف اقتصادية اجتماعية طوال مراحل ممتدة من تاريخه.

مطابقة العوامل المُستخلصة مع المبادئ المنظمة للعلاقات الديناميكية بين القيم الرئيسة، التي اقترحها شوارتز (Schwartz, 1992)، توحي باتساق جزئي بين نتائج هذه الدراسة ونتائج الدراسات السابقة. فعند النظر إلى العوامل المُستخلصة في ضوء بعد التصارع والتساوق بين القيم، يتبين أن قيمتي الخيرية والكلية جاءتا متصارعتين مع قيمتي السلطة والإنجاز. ويتسق ذلك تماماً مع ما يشير إليه شوارتز من أن الحرص على الإنجاز والسلطة يتعارض دوماً مع الحرص على الخيرية والكلية؛ فسعي المرء لتحقيق نجاحات شخصية، وارتقاء درجات أعلى في سلم التراتبية الاجتماعية، وفرض هيمنته على الآخرين والموارد، يتعارض مع التصرفات التي تهدف إلى تحقيق الرفاهية للآخرين، وتقديم يد العون لذوي القربى. كذلك، فإن التصرفات التي يُقصد منها التعبير عن الطاعة (قيمة المسايرة) يُرجح أن تتصارع

مع التصرفات التي تؤكد الاستقلالية (قيمة التوجه الذاتي)، لكنها تتساوق مع التصرفات التي تعزز التراتبية الاجتماعية (قيمة الأمن).

تنتظم القيم في ضوء مبدأ الاهتمامات أيضاً إلى نوعين متصارعين من القيم. يتركز النوع الأول منهما على تحقيق مصالح ذات طبيعة فردية محضة، وينشغل فيه الشخص باستثمار قدراته وإمكاناته وإبراز تفوقه. وتتمثل قيم هذا النوع في كل من السلطة، والإنجاز، والنزوية، والتنبيه، والتوجه الذاتي. وتتعارض هذه القيم مع القيم المنصبة على تحقيق مصالح جمعية، ينشغل فيها الشخص بعلاقاته مع الآخرين. وتتمثل قيم هذا النوع في كل من الخيرية، والكلية، والتقليدية، والأمن، والمسايرة (Schwartz, 2012)، ويُلاحظ أن القيم المتشبعة على العوامل الثلاثة الأولى تتسق مع تنظيم القيم الرئيسة في ضوء مبدأ الاهتمامات. ويبدو ذلك واضحاً في التشبع الموجب لقيم الخيرية والتقليدية والكلية (العامل الأول) والمسايرة (العامل الثاني) والأمن (العامل الثالث) في مقابل التشبع السلبي لقيم السلطة والإنجاز (العاملين الأول والثاني) والنزوية (العامل الثالث).

ترسم نتائج هذه الدراسة صورة لمجتمع ذي ثقافة تقليدية. تهيمن عليه قيم المحافظة (المسايرة والأمن والتقليدية). ويعني هذا أن الهاجس الأكبر للمصريين يتمثل في الحفاظ على بقاء الجماعة وتماسكها، وما يقتضيه هذا من توافق وتكيف وضبط اجتماعي. وهي قيم ذات طبيعة جمعية، تحث أعضاء الثقافة على الاهتمام بالآخرين أكثر من اهتمامهم بأنفسهم، وتجعلهم يحرصون على إنجاز أهداف الجماعة لا أهدافهم الشخصية. وتشح في هذه الثقافة روح المبادرة، والرغبة في التميز، ويتضاءل الحيز الشخصي، وتكاد استقلالية الفكر وحرية الاعتقاد والفعل تغيب تماماً. ويتأكد ذلك من النسبة الضئيلة لقيم التوجه الذاتي والتنبيه. والسؤال الآن، ما السبب في ذلك؟

في الواقع لا تقدم نظرية القيم الرئيسة لشوارتز إجابة مقنعة عن السؤال السابق. ويفهم ذلك في ضوء تركيزها على تحديد القيم والعلاقات الديناميكية بينها دون اهتمام كافٍ بالعوامل الكامنة وراء نشأة هذه القيم واختلاف أولويات النسق القيمي من ثقافة إلى أخرى. علاوة على ذلك لم تكن عينة الدراسة الرئيسة لشوارتز (1992) ممثلة لكثير من التنويعات الثقافية على وجه العموم، والثقافة العربية على وجه الخصوص. ويقتضي ذلك أخذ فروضها الرئيسة بمزيد من الحذر، وفحصها فحصاً دقيقاً.

وأمام هذا الواقع، لا يستقيم التقيد بإطار نظري واحد مع السعي لاستخلاص فهم متماسك لجوانب الاتساق وعدم الاتساق بين نتائج هذه الدراسة والدراسات السابقة.

المراجع:

أبو علي، محمد توفيق. (1988). *الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية*. بيروت: دار النفائس.

الباجوري، محمود أحمد عمر. (1893). *أمثال المتكلمين من عوام المصريين*. القاهرة: المطبعة الشرقية.

تيمور، أحمد. (1956). *الأمثال العامية: مشروحة ومرتبة على الحرف الأول من المثل*. القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي.

جريدة الشروق. (2015، يناير). في ذكرى 25 يناير لماذا سننتصر: الثورة مستمرة. تم الاسترجاع من موقع https://www.shorouknews.com

حمدان، جمال. (1984). *شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان*، القاهرة: دار الهلال.

خليفة، عبد القادر. (1992). القيم السياسية المتضمنة في الأمثال الشعبية ودورها في التربية السياسية للمصري المعاصر: دراسة تحليلية ميدانية. كلية التربية ببنها، جامعة الزقازيق، 47–74.

خليل، أيمن أحمد. (2015). الواقع الاجتماعي للأمثال الشعبية الدافعة للإحباط في المجتمع المحلي المصري. *دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية*، 3 (38)، 675–706.

رباح، كمال أحمد؛ والطنطاوي، أحمد عاصم. (1994). التربية ووحدة الشخصية القومية المصرية في ضوء الأمثال الشعبية. *دراسات تربوية*، 9 (677)، 104–135.

شعلان، إبراهيم أحمد. (2003). *موسوعة الأمثال الشعبية المصرية والتعبيرات السائرة*. القاهرة: دار الأفاق العربية.

الضمراني، محمود محمد. (2017). العلاقات الأسرية في الأمثال الشعبية: دراسة ميدانية بصعيد مصر. *المجلة العربية لعلم الاجتماع*، 20، 187–258.

طاهر، حامد. (2008). *الفلسفة المصرية من الأمثال الشعبية*، القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر.

عبد الصمد، محمد أمين. (2014). *القيم في الأمثال الشعبية المصرية بين مصر وليبيا في مجتمعي البيضاء الليبي والغرق المصري: دراسة في الإنثروبولوجيا الثقافية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عزت، عزة. (1996). *الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية*. القاهرة: دار الهلال.

فكار، إنعام. (2015). المرأة في الأمثال الشعبية دراسة مقارنة. *حوليات آداب عين شمس*، 43، 165–194.

مراد، صلاح أحمد. (2000). *الأساليب الإحصائية في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

Arkush, R. D. (1984). If Man works hard the land will not be lazy. Entrepreneurial values in north chinese peasant proverbs. *Modern China, 10*(4), 461-479.

Arnett, J. J. (2008). The neglected 95%: why American psychology needs to become less American. *American Psychologist, 63*(7), 602.

Azuma, H. (1984). Secondary control as heterogeneous category. *American Psychologist, 39*, 970-971.

Bilsky, W., Janik, M., & Schwartz, S. H. (2011). The structural organization of human values-evidence from three rounds of the European Social Survey (ESS). *Journal of Cross-Cultural Psychology, 42*(5), 759-776.

Boesch, E. E. (1996). The seven flaws of cross-cultural psychology. The story of conversion. *Mind, Culture, and Activity, 3*(1), 2-10.

Briley, D. A., & Wyer Jr, R. S. (2001). Transitory determinants of values and decisions: The utility (or nonutility) of individualism and collectivism in understanding cultural differences. *Social Cognition*, 19(3: Special issue), 197-227.

Cole, M. (1971). *The Cultural Context of Learning and Thinking: An Exploration in Experimental Anthropology, New York: Basic Books.*

Cousins, S. D. (1989). Culture and self-perception in Japan and the United States. *Journal of Personality and Social psychology, 56*(1), 124.

Dancy Jr, J., & Wynn-Dancy, M. L. (1995). Faith of our fathers (mothers) living still: Spirituality as a force for the transmission of family values within the Black community. *Activities, Adaptation & Aging, 19*(2), 87-105.

Davidov, E., Schmidt, P., & Schwartz, S. H. (2008). Bringing values back in: The adequacy of the European Social Survey to measure values in 20 countries. *Public Opinion Quarterly, 72*(3), 420-445.

Dollard, J., Doob, L., Miller, N., Mowrer, O., & Sears, R. (1939). *Frustration and aggression*, New Haven, CT: Yale University Press.

Flynn, J. R. (1987). Massive IQ gains in 14 nations: What IQ tests really measure. *Psychological Bulletin, 101*(2), 171.

Flynn, J. R. (2007). *What is intelligence?: Beyond the Flynn effect*, Cambridge University Press.

GLOBE, (2017). Global Leadership & Organizational Behavior Effectiveness. Online at www globeproject.com.

Helfrich, H. (1999). Beyond the dilemma of cross-cultural psychology: Resolving the tension between etic and emic approaches. *Culture & Psychology, 5*(2), 131-153.

Hermans, H. J. (2001). The dialogical self: Toward a theory of personal and cultural positioning. *Culture & Psychology, 7*(3), 243-281.

Hofstede, G. (1980). *Culture's consequences: International differences in work-related values*, Beverly Hills, CA: Sage.

Hofstede, G., & Bond, M. H. (1988). The Confucius connection: From cultural roots to economic growth. *Organizational dynamics, 16*(4), 5-21.

Inglehart, R. (1990). *Culture shift in advanced industrial society*, Princeton University Press.

Inglehart, R., & Baker, W. E. (2000). Modernization, cultural change, and the persistence of traditional values. *American Sociological Review*, 19-51.

Inglehart, R., & Welzel, C. (2005). *Modernization, cultural change, and democracy: The human development sequence*, Cambridge University Press.

Krippendorff, K. (1980). *Content analysis: An introduction to its methodology*, Beverly Hills, CA: Sage

Kulich, S. J. (1998). Chinese and American proverbs - Self-generated lists, related values and correlation to Schwartz's culture-level values. *Paper presented at The Inaugural Meeting of the Academy for Intercultural Research, Fullerton CA*,

Lovell, J. (2001). The proverbs of a culture reflect much of its attitudes. *Bigpond*, net. au Retrieved August, 10, 2006.

Luria, A. K. (1971). Towards the problem of the historical nature of psychological processes. *International Journal of Psychology, 6*(4), 259-272.

Markus, H. R., & Kitayama, S. (1991). Culture and the self: Implications for cognition, emotion, and motivation. *Psychological Review, 98*(2), 224.

Markus, H. R., & Kitayama, S. (1994). A collective fear of the collective: Implications for selves and theories of selves. *Personality and Social Psychology Bulletin, 20*(5), 568-579.

Maslow, A. H. (1943). A theory of human motivation. *Psychological Review, 50*(4), 370.

Matsumoto, D., & Juang, L. (2016). *Culture and psychology*, Nelson Education.

McAdoo, H. P., & McWright, L. A. (1995). The roles of grandparents: The use of proverbs in value transmission. *Activities, Adaptation & Aging, 19*(2), 27-38.

Menon, U., & Shweder, R. A. (1994). Kali's tongue: Cultural psychology and the power of shame in Orissa, India. *Emotion and culture: Empirical Studies of Mutual Influence*, 241-284.

Minkov, M. (2009). Predictors of differences in subjective well-being across 97 nations. *Cross-Cultural Research, 43*(2), 152-179.

Morris, M. W., & Fu, H. Y. (2001). How does culture influence conflict resolution? A dynamic constructivist analysis. *Social Cognition, 19*(3: Special issue), 324-349.

Nisbett, R. E.,& Norenzayan, A. (2002). *Culture and cognition*, Retrieved from < https://deepblue.lib.umich.edu > .

Oxford English Dictionary, (2019). [on-line] < https://en.oxforddictionaries.com/definition/proverb > .

Page, M. H., & Washington, N. D. (1987). Family proverbs and value transmission of single black mothers. *Journal of Social Psychology, 127*(1), 49-58.

Prasad, B. D. (2008). Content analysis. *Research Methods for Social Work, 5*, 1-20.

Praslova, L. (2006). *Culture as Unfolding Process: Integrating Perspectives in Building a Theory*, Retrieved from < http://tinyurl.com/bodygjs > .

Reich, J. H. (1981). Proverbs and the modern mental status exam. *Comprehensive Psychiatry, 22*(5), 528-531.

Rohner, R. P. (1984). Toward a conception of culture for cross-cultural psychology. *Journal of Cross-cultural Psychology, 15*(2), 111-138.

Rokeach, M. (1973). *The nature of human values*, New York, NY: Free Press.

Rong, H. O. U. (2013). Proverbs reveal culture diversity. *Cross-Cultural Communication, 9*(2), 31-35.

Ros, M., Schwartz, S. H., & Surkiss, S. (1999). Basic individual values, work values, and the meaning of work. *Applied Psychology, 48*(1), 49-71.

Schwartz, S. H. (1992). Universals in the content and structure of values: Theoretical advances and empirical tests in 20 countries. *In Advances in experimental social psychology* (Vol. 25, pp. 1-65). Academic Press.

Schwartz, S. H. (1994). Are there universal aspects in the structure and contents of human values?. *Journal of Social Issues, 50*(4), 19-45.

Schwartz, S. H. (2006). A theory of cultural value orientations: Explication and applications. *Comparative sociology, 5*(2), 137-182.

Schwartz, S. H. (2012). An overview of the Schwartz theory of basic values. *Online readings in Psychology and Culture, 2*(1), 11.

Schwartz, S. H., & Bardi, A. (2001). Value hierarchies across cultures: taking a similarities perspective. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 32*(3), 268-290.

Schwartz, S. H., & Bilsky, W. (1987). Toward a universal psychological structure of human values. *Journal of personality and social psychology, 53*(3), 550.

Schwartz, S. H., Cieciuch, J., Vecchione, M., Davidov, E., Fischer, R., Beierlein, C., Ramos, A., Verkasalo, M., LJ.-E., Demirutku, K., Dirilen-Gumus, O., & Konty, M. (2012). Refining the theory of basic individual values. *Journal of Personality and Social Psychology, 103*, 663-688.

Segall, M. H., Dasen, P. R., Berry, J. W., & Poortinga, Y. H. (1999). *Human behavior in global perspective: An introduction to cross-cultural psychology*, Allyn & Bacon.

Shweder, R. A. (2000). The psychology of practice and the practice of the three psychologies. *Asian Journal of Social Psychology, 3*(3), 207-222.

Shweder, R. A., & Bourne, E. J. (1984). Does the concept of the person vary cross-culturally? In R. A. Shweder, & R. A. LeVine (Eds.), *Culture theory: Essays on mind, self and emotion* (pp. 158-199). Cambridge: Cambridge University Press.

Smith, P. B., Dugan, S., & Trompenaars, F. (1996). National culture and the values of organizational employees: A dimensional analysis across 43 nations. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 27*(2), 231-264.

Triandis, H. C. (1995). *Individualism and collectivism*, Boulder, CO: Westview Press.

Triandis, H. C. (2000). Culture and conflict. *International Journal of Psychology, 35*(2), 145-152.

Triandis, H. C., & Suh, E. M. (2002). Cultural influences on personality. *Annual Review of Psychology, 53*(1), 133-160.

Triandis, H. C., Chen, X. P., & Chan, K. S. (1998). Scenarios for the measurement of

collectivism and individualism. *Journal of Cross-Cultural Psychology, 29*, 275-289.

Weber, E. U., Hsee, C. K., & Sokolowska, J. (1998). What folklore tells us about risk and risk taking: Cross-cultural comparisons of American, German, and Chinese proverbs. *Organizational behavior and human decision processes, 75*(2), 170-186.

Weisz, J. R., Rothbaum, F. M., & Blackburn, T. C. (1984). Standing out and standing in: The psychology of control in America and Japan. *American Psychologist, 39*(9), 955.

Wertsch, J. V.,& Tulviste, P. (1992). LS Vygotsky and contemporary developmental psychology. *Developmental psychology, 28*(4), 548.

White, G. M. (1987). Proverbs and cultural models. *Cultural models in language and thought*, 151-172.

Witkin, H. A., & Berry, J. W. (1975). Psychological differentiation in cross]cultural perspective. *ETS Research Bulletin Series, 1975*(1), i-100.

World Values Survey (ongoing). Online at www.worldvaluessurvey.org.

قدم في: مايو 2018

أجيز في: يوليو 2019